MINISTÈRE DE L'ÉDUCATION NATIONALE, DE L'ENSEIGNEMENT SUPÉRIEUR ET DE LA RECHERCHE

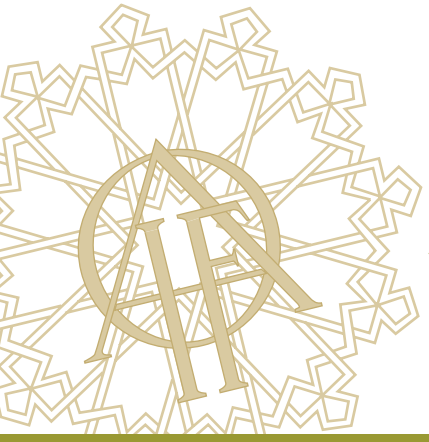

ANNALES ISLAMOLOGIQUES

en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne

AnIsl 41 (2007), p. 45-65

Hišām bin Muḥammad ʿAlī Ḥasan ʿUǧaymī

قلعة ذات الحاج فى طريق الحَاجّ الشامى: دراسة معمارية وثائقية. -al ṭarīq fī ḥāǧǧ-al ḏāt Qalʿat ḥāǧǧ al-šāmī. Dirāsa miʿmāriyya waṯā'īqiyya

Conditions d'utilisation

L'utilisation du contenu de ce site est limitée à un usage personnel et non commercial. Toute autre utilisation du site et de son contenu est soumise à une autorisation préalable de l'éditeur (contact AT ifao.egnet.net). Le copyright est conservé par l'éditeur (Ifao).

Conditions of Use

You may use content in this website only for your personal, noncommercial use. Any further use of this website and its content is forbidden, unless you have obtained prior permission from the publisher (contact AT ifao.egnet.net). The copyright is retained by the publisher (Ifao).

Dernières publications

9782724710540	*Catalogue général du Musée copte*	Dominique Bénazeth
9782724711233	*Mélanges de l'Institut dominicain d'études orientales 40*	Emmanuel Pisani (éd.)
9782724711424	*Le temple de Dendara XV*	Sylvie Cauville, Gaël Pollin, Oussama Bassiouni, Youssreya Hamed
9782724711417	*Le temple de Dendara XIV*	Sylvie Cauville, Gaël Pollin, Oussama Bassiouni
9782724711073	*Annales islamologiques 59*	
9782724711097	*La croisade*	Abbès Zouache
9782724710977	*???? ??? ???????*	Guillemette Andreu-Lanoë, Dominique Valbelle
9782724711066	*BIFAO 125*	

© Institut français d'archéologie orientale - Le Caire

هشام بن محمد على حسن عُجيمى

قلعة ذات الحاج فى طريق الحَاجّ الشامى

دراسة معمارية وثائقية

ذات الحاج، اسم لقرية تقع شمال غرب المملكة العربية السعودية قرب دائرة عرض ٣-٢٩° شمالاً، وخط طول ١٠-٣٦° شرقاً[١]. وهى إحدى محطات طريق الحاج الشامى الذى يصل بين مكة المكرمة ودمشق[٢]، ولم تحظ بالدراسة التاريخية والمعمارية من قبل.

وذكرت المصادر اسم هذه المحطة بعدة ألفاظ هى: ذات الحاج، دار الحج، ذات حج، ذات حاج، ذات الحج، حجْ، فورد فى شعر جميل بثينة[٣]:

وليلة بتنا ذات حاج ذكرتكم هدوء وقد نام الخليل المصحح

وقوله:

بدت بدوة لما استقرت حمولها ببثنة بين الجرف والحاج والنخل

وقال الصلاح الصفدى[٤]:

سلكنا الفج نقصد ذات حج فطرق للهداية مستقلة
فآثار المطى بها بدورُ وآثار الجيادِ بها أهِلّه

وقال النابلسى[٥]:

أتينا ذات حج بنفس ذاتِ حَجْ
وذلك بعد حَج وعَجٍّ ثم ثَجْ

والاسم المستخدم بين أهالى المنطقة حالياً هو حِجّْ.

أستاذ مشارك بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية - جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية.

١. سيد عبدالمجيد بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص ١٩٦.
٢. محمد لبيب البتنونى، الرحلة الحجازية، ص ٣٠٤، الخريطة؛ وكذلك الخريطة التى فى هذا البحث شكل (١).
٣. حمد الجاسر، المعجم الجغرافى، القسم الأول، ص ٣٧٠.
٤. الجزيرى، درر الفوائد، ص ٤٥٦.
٥. النابلسى، الحقيقة والمجاز، لوحة ٣٥٦.

AnIsl 41 (2007), p. 45-65 Hišām bin Muḥammad ʿAlī Ḥasan ʿUǧaymī
īqiyyaʻwaṯā miʿmāriyya Dirāsa .šāmī-al ḥāǧǧ-al ṭarīq fī ḥāǧǧ-al ḏāt Qalʿat. قلعة ذات الحاج فى طريق الحَاجّ الشامى: دراسة معمارية وثائقية
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

وتقع ذات الحاج فى وادٍ يتراوح ارتفاعه عن سطح البحر من ٥٠٠-١٠٠٠ م[٦]، وتربتها صالحة للزراعة، وتكثر بها المياه الجوفية، وقد وصف ابن بطوطة[٧] ذات الحاج بأنها «حسيان»[٨].

وذكرها البغدادى[٩] فى مراصده بأنها «ماء بطريق مكة من جهة الشام»، وذكرها الجزيري[١٠] حوالى سنة ٩٦٠ هـ/ ١٥٦٣ م أن بها «ماء عذب سائغ مستطاب»، كما ذكرها كبريت[١١] أن «بها ماء ونخيل وشجر توت»، ووصفها الخيارى المدنى[١٢] أن بها عيون ماء ونخل يطلق عليه بالتركية عاصى خرمه، وذكر النابلسى[١٣] أن «بها ماء كثير». وما زالت ذات الحاج غنية بالماء، ومن أشهر العيون بها حاليًا عين سالمه وعين الرحيلى.

ونتيجة لتوفر الماء والشجر فى محطة ذات الحاج فقد اتخذها ركب الحاج الشامى محطة يستريح بها، فهى المحطة الثانية عشرة من محطات استراحة ركب الحاج الشامى من حين خروجه من دمشق حتى يصل مكة المكرمة. كما يتزود ركب الحاج الشامى من محطة «ذات الحاج» بالماء لأن محطة تبوك تبعد عنها بحوالى عشرين ساعة[١٤] فى رحلة الذهاب إلى الحج، كما يتزود منها الركب بالماء الكثير فى رحلة إيابه إلى دمشق، لأن بعد ذلك «ثلاث منازل لا ماء فيها إلى قلعة معان»[١٥].

أما عن زمن اتخاذ ركب الحاج الشامى لذات الحاج محطة لاستراحته، فإن المصادر الجغرافية المتقدمة لم تذكر اسم هذه المحطة أثناء تتبعها لمحطات هذا الطريق، ولعل أول من ذكرها البغدادي[١٦] (ت ٧٣٩ هـ/ ١٣٣٨-١٣٣٩ م) فى مراصده إلا أنه لم ينص على أنها محطة للاستراحة. ثم ذكرها ابن بطوطة[١٧] (ت ٧٧٩ هـ/ ١٣٧٧ م) فى رحلته بقوله: «وبعد مسيرة يومين نزلنا ذات حج وهى حسيان لا عمارة بها».

ويبدو أن محطة ذات الحاج لم يكن بها أى شكل من أشكال العمائر طوال فترة العصر المملوكى، ولعل ذلك يرجع إلى تحول طريق الحاج الشامى عن خطة المعروف مدة تزيد على المائتى عام والتى حددها المقريزى بقوله: «من أعوام بضع وخمسين وأربعمائة إلى أعوام بضع وستين وستمائة»[١٨]، بسبب الاضطرابات السياسية فى تلك الفترة، وخاصة التسلط الصليبى على المنطقة.

وعند عودة ركب الحاج الشامى إلى طريقه المعتاد، كانت تبعية الطريق للدولة المملوكية، التى قامت بتنظيم أمور الحج وطرقه بصفة عامة، وطريق الحاج الشامى والمصرى بصفة خاصة.

والجدير بالملاحظة أن محطة «ذات الحاج» لم تحظ بأى تحصين فى الفترة المملوكية، وربما يرجع ذلك إلى إدراك المماليك بعدم جدوى إنشاء أى تحصين بها، نظراً لبعد موقع ذات الحاج عن طريق إمدادات الدولة التى كانت قاعدتها مِصْر لسواحل البحر الأحمر، والسواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط اللذين تكررت فيهما هجمات الفرنجة منذ أوائل القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى[١٩]، فى الوقت الذى حرص فيه سلاطين المماليك على تحصين طريق الحَاجّ

٦. سيد عبد المجيد بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحج، ص ١٩٦.
٧. ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ١١١.
٨. جمع حسى، وهى الأرض التى يستنقع فيها الماء، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة حسى.
٩. البغدادى، مراصد الاطلاع، ج ٢، ص ٥٨٣.
١٠. الجزيرى، درر الفرائد، ص ٤٥٦.
١١. كبريت، رحلة الشتاء والصيف، ص ٢٣٣.
١٢. الخيارى، تحفة الأدباء، ج ١، ص ٧٧.
١٣. النابلسى، الحقيقة والمجاز، القسم الثالث، لوحة ٣٥٦.
١٤. حسب سير جمل المحمل.
١٥. النابلسى، الحقيقة والمجاز، القسم الثالث، لوحة ٣٥٦.
١٦. البغدادى، مراصد الاطلاع، ص ٥٨٣.
١٧. ابن بطوطة، الرحلة، ص ١١١.
١٨. المقريزى، المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٣٥٦.
١٩. أحمد دراج، المماليك والفرنج، ص ١٥٥.

© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

المِصرى، فأنشأوا القلاع فى كل من محطة عَجْرَود، ونَخْل، والعَقَبَة، والأزنم[٢٠]، لتكون مراكز إمداد للجيوش المملوكية التى تحمى السواحل الشرقية للبحر الأحمر، فضلاً عن تقدم خدماتها لركب الحجيج.

وعند انتقال السلطة إلى الأتراك العثمانيين فى كل من الشام ومصر والحجاز، انتقلت إليهم مسؤولية حماية الأراضى المقدسة بصفة خاصة وأقاليم المنطقة بصفة عامة، فورثوا بذلك مسؤولية الدفاع عن الحجاز ومِصْر من خطر البرتغاليين ونشاطهم الدائم فى البحر الأحمر.

ومن الأساليب التى أتبعها العثمانيون فى التصدى للحظر البرتغالى فى المنطقة، إنشاء سلسلة من القلاع فى المناطق المهمة على طول السواحل الشرقية لكل من البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط، فضلاً عن بعض القلاع الداخلية الموازية لقلاع السواحل، بهدف أن تكون تلك القلاع سلسلة متصلة تسهل الإمداد ونقل الأخبار وحشد الجنود والسلاح بها، وتقديم خدمات لركب الحجيج.

وكانت محطة «المدورة» أقرب النقاط المحصنة شمال «ذات الحاج»، وتبعد عنها حوالى ١٢ ساعة، أما من ناحية الجنوب فأقرب النقاط المحصنة هى محطة «تبوك»[٢١]، وتبعد عنها حوالى ٢٠ ساعة، وهذا يعنى أن ركب الحجيج يقطع المسافة بين قلعة «المدورة» وقلعة «تبوك» فى زمن قدره ٣٢ ساعة أى أكثر من يوم، حسب سير جمل المحمل. لذا كان لابد من اتخاذ محطة «ذات الحاج» محطة يبيت فيها ركب الحاج الشامى، ومبيت الحاج فى محطة «ذات الحاج» يشكل خطراً على الركب، لأن هذه المنطقة كانت فى فترات كثيرة غير مأمونة من هجوم بعض القبائل على قافلة الحاج، خاصة فى الفترات التى تنقطع فيها مخصصات القبائل المكلفة بحراسة الطريق، أو عندما يطالبون بزيادة المخصصات[٢٢]، لذا كان بناء قلعة فى محطة «ذات الحاج» ضرورة ملحة لحماية موارد الماء المتوفرة بها، وحماية ركب الحاج أثناء نزوله بها فضلاً عن تخزين المؤن اللازمة لركب الحَاج الشامى، وكانت تتبع إداريًا لولاية الشام[٢٣].

تاريخ عمارة القلعة

فى شهر ذى القعدة من عام ٩٦٧ هـ/ ١٥٥٩ م، صدر أمر من السلطان سليمان القانوني[٢٤]، إلى ولاية دمشق ببناء قلعة فى محطة ذات الحاج، أكد على ذلك من المؤرخين المعاصرين أبى العباس أحمد بن يوسف الدمشقى الشهير بالقرمانى[٢٥].

كما ذكر كبريت[٢٦] فى رحلته لأداء الحج سنة ١٠٣٩ هـ/ ١٦٢٩ م أن محطة ذات الحاج فيها «قلعة لطيفة»، وهذا أول نص يدل على وجود قلعة فى هذه المحطة، كما أورد الغزى[٢٧] فى كواكبه فى ترجمة السلطان سليمان القانونى، الأمر ببناء

٢٠. هشام عجيمى، قلاع الأزنم والوجه وضبا، ص ١-٢٦؛ سامى صالح عبدالمالك، درب الحاج المصرى همزة وصل، ص ١٦١-٢٤٨، ٣٠٦-٣٣٥، أشكال (١٥-١٧، ٢٣، ٢٤) لوحات (٢٢-٣٩، ٥٨، ٥٩)؛ قلعة نَخْل، ص ١٤٥-٢٠٥، أشكال (١-٥)، لوحات (١-٥٢).

٢١. هشام عجيمى، قلعة تبوك، ص ١٣٥.

٢٢. نوفان رجا الحمود، العسكر فى بلاد الشام، ص ١٠١.

٢٣. النابلسى، الحقيقة والمجاز، القسم الثالث، لوحة ٣٥٦.

٢٤. تـولى السلطة فى الفترة من سنة ٩٢٦ هـ/ ١٥٢٠ م إلى سنة ٩٧٤ هـ/ ١٥٦٦ م؛ Danismend, *Izahli Osmanli tarihi Kronolojisi*, p. 59-360.

٢٥. القرمانى، كتاب أخبار الدول، ص ٤٤٠.

٢٦. كبريت، رحلة الشتاء والصيف، ص ٢٣٣.

٢٧. الغزى، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ج ٣، ص ١٥٧.

© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

قلعة فى محطة «ذات الحاج»، وذكر الخيارى[٢٨] فى تحفته التى تُؤرخ رحلته للحج سنة ١٠٨٠ هـ/ ١٦٦٩ م أن فى ذات الحاج قلعة.

والنص المؤرخ المثبت على جدار القلعة يثبت أن القلعة بُنيت فى شهر صفر من عام ٩٧١ هـ/ ١٥٦٣ م[٢٩]. وجرى على مبنى قلعة ذات الحاج ترميم شامل كان من الفخامة بحيث أرخ له بنص كُتب على حجر من الرخام مؤرخ فى شهر محرم من سنة ١٢٦٦ هـ/ ١٨٤٩ م[٣٠]، وتم هذا التجديد فى عصر السلطان العثمانى عبدالمجيد الأول بن محمد الثاني[٣١]. وهذا التجديد كان ضرورة حتمية للحفاظ على مبنى القلعة، نظراً لخطورة وأهمية وظيفتها، فالدولة العثمانية كانت تعتمد على قلاع منطقة الشام بصفة عامة وقلاع طريق الحاج الشامى بصفة خاصة لحشد قواتها وآلاتها بها لتسهيل إمداد والى الشام بها حين قيام ثورات داخلية فى الشام، وخير مثال على ذلك الحروب الأهلية التى حدثت فى «دير القمر وزحله» وغيرهما من نواحى الشام سنة ١٢٦٥ هـ/ ١٨٤٨ م، والتى انتهت بقتل ثلاثة آلاف رجل من النصارى ونحو أربعمائة رجل من الدروز[٣٢].

واستمرت قلعة ذات الحاج فى أداء مهامها خدمة لركب الحاج الشامى، وموقعاً عسكرياً تابعاً لوالى الشام حتى تم الاستغناء على خدماتها بعد إنشاء سكة حديد الحجاز ومده من «دمشق» إلى «المدينة المنورة» السلطان عبدالحميد[٣٣]، وذلك سنة ١٣١٨ هـ/ ١٩٠٠ م، وإنشاء مبان خاصة بسكة الحديد في محطة «ذات الحاج»، ووصل أول قطار إلى «المدينة المنورة» في الثالث من شهر شعبان سنة ١٣٢٦ هـ/ ١٩٠٨ م.

وصف عمارة القلعة

تم الوقوف ميدانيًا على مبنى القلعة، وتم رفعه هندسياً من واقع الطبيعة[٣٤]، والمنطقة التى بُنيت فيها القلعة منطقة زراعية بها الأشجار المختلفة الأنواع، وبلغت مساحة المبنى (٢٣,٦٠ × ٢٣,٨٠ م)، وبلغ سمك الجدران الخارجية لمبنى القلعة (١,٨٠ م). ومبنى القلعة فى مجموعة يتكون من ثلاث طوابق، والتخطيط العام عبارة عن فناء مكشوف به عين ماء، وترتكز حجرات وغرف القلعة على السور الجنوبى الغربى من الداخل[٣٥].

٢٨. إبراهيم الخيارى، تحفة الأدباء، ج ١، ص ٧٧–٧٨.
٢٩. انظر دراسة نص تأسيس القلعة فى هذا البحث، لوحة رقم (٣)، شكل رقم (١٨).
٣٠. انظر لوحة رقم (١٢) فى هذا البحث.
٣١. تولى السلطة فى الفترة من سنة ١٢٥٥ هـ/ ١٨٣٩ م إلى سنة ١٢٧٧ هـ/ ١٨٦١ م.
Danismend, *Izahli Osmanli tarihi Kronolojisi*, p. 121-196.
٣٢. محمد كرد على، خطط الشام، ج ٣، ص ٧٤–٧٥.
٣٣. تولى السلطنة في الفترة من من ١٢٩٣ هـ/ ١٨٧٦ م إلى سنة ١٣٢٧ هـ/ ١٩٠٩ م.

Danismend, Cild 4, Sahife 285-379.
٣٤. أشكال أرقام (١–٢٠)، لوحة رقم (١–١٣) فى هذا البحث؛ وأورد الدكتور علي غبان فى مسحه الأثرى لآثار المنطقة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية صورتان لمبنى قلعة ذات الحاج من الخارج وصورتان لنقشى القلعة، وتفريغان لواجهتي القلعة من الخارج فقط، ولم يورد رفعاً هندسياً لمبنى القلعة بأدواره الثلاثة والبركة الواقعة خارج المبنى. انظر: علي غبان، الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ١٤٦–١٥١.
٣٥. لوحة رقم (٥)، شكل رقم (٦–٩).

© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

ويتوسط مدخل القلعة الضلع الشمالى الغربى ويتسع بمقدار (٢,٠٠ م) ويقضى إلى دهليز أبعاده (٢,٨٠ × ٢,٠٠ م) سقف بقبو متقاطع، ويتجه الداخل إلى اليمن ويسلك ممراً أبعاده (٣,٢٠ × ٢,٠٠ م) سقف بقبو مدبب[٣٦]. ويتجه الداخل إلى اليسار ويسلك ممراً أبعاده (٣,٢٠ × ٢,٠٠ م) سقف بقبو مدبب أيضاً ويقضى الممر إلى فناء القلعة وهو مساحة مفتوحة أبعادها (١٨,٨٠ × ١٠,١٤ م)[٣٧].

وتتركز حجرات وغرف القلعة بطوابقها الثلاث فى الجزء الجنوبى الغربى من التخطيط، ففى الطابق الأرضى خمس حجرات تفتح على فناء القلعة مساحتها على التوالى (٣,٠٠ × ٤,٤٠ م)، (٣,٢٠ × ٤,٤٠ م)، (٣,٤٠ × ٤,٤٠ م)، (٣,٢٠ × ٤,٤٠ م)، (٣,٤٠ × ٤,٤٠ م)، ويفصل بين الحجرات جدران سمكها (١,٠٠ م)[٣٨]. وحجرات الطابق الأرضى الخمسة بُنيت بالحجر الرملى المنحوت، وسُقفت بقبوات مدببة.

وتعلو حجرات الطابق الأرضى خمسة غرف متلاصقة يصعد إليها بسلم من فناء القلعة[٣٩]، ومساحتها على الترتيب (٣,٥٠ × ٣,٢٠ م)، (٣٥٠ × ٣,٤٠ م)، (٤,٢٠ × ٣,٦٠ م)، (٣,٥٠ × ٣,٦٠ م)، (٣,٥٠ × ٣,٥٠ م). وبُنيت الغرف بالحجر الرملى المنحوت وسقف بسقف مسطح ما عدا الغرفة الوسطى سقفت بقبو ضحل وتحتوى على محراب مجوف، واستخدمت هذه الغرفة مسجداً للقلعة ويفتح بكامل جداره على الممر[٤٠].

ويصعد إلى الطابق الثالث بسلم يقع فى الركن الغربى ويتكون الطابق الثالث من أربعة غرف بُنيت بالحجر الدبش، ويبدو أنها مضافة على البناء، وسُقفت بسقف مسطح من عروق الأشجار متهدم حاليًا، ومساحات الغرف على التوالى (١,٨٠ × ٢,٤٠ م)، (٢,٣٠ × ٢,٥٠ م)، (٢,٣٠ × ٢,٥٠ م)، (٢,١٠ × ٢,٣٠ م)[٤١]. وتحتوى الغرفة الركنية الواقعة فى الطابق الثالث على سقاطتان[٤٢] تستعمل كمراحيض للقلعة.

أما خارج القلعة فنجد فى الجزء الملاصق للقلعة من الجهة الشمالية الشرقية بركة القلعة، ومساحتها (٢١,٧٠ × ٢٠,٣٨ م)، وسمك جدارها (٦٠ سم) تستمد مائها من نبع يقع داخل القلعة، ويصل الماء إلى البركة بواسطة قناة حجرية مطمورة حاليصا[٤٣].

والجدير بالذكر أن مبنى القلعة وبركتها ورد ذكرها فى تقرير مؤرخ فى ٢٧ من شهر صفر سنة ١٢٥١ هـ/ ١٨٣٤ م، يصف القلعة والبركة وصفاً عاماً، وجاء اسم المحطة فى التقرير دار الحج[٤٤].

٣٦. لوحة رقم (٦).
٣٧. لوحة رقم (٧، ٨، ٩، ١٠)، شكل رقم (١٠–١٣).
٣٨. شكل رقم (٢).
٣٩. شكل رقم (٣)، لوحة رقم (٧، ١١).
٤٠. شكل رقم (٣) لوحة رقم (٦، ٩).
٤١. شكل رقم (٤، ٨، ٩)، لوحة رقم (٦، ٧، ٩).
٤٢. شكل رقم (١٥–١٨)، لوحة رقم (١).
٤٣. شكل رقم (١٤)، لوحة رقم (٩).
٤٤. هشام عجيمى، القلاع ومناهل المياه فى طريق الحاج الشامى، ص ٢٣–٢٤.

AnIsl 41 (2007), p. 45-65 Hišām bin Muḥammad ʿAlī Ḥasan ʿUğaymī
قلعة ذات الحاج فى طريق الحَاجّ الشامى: دراسة معمارية وثائقية. īqiyyaʻwaṭā miʿmāriyya Dirāsa .šāmī-al ḥāğğ-al ṭarīq fī ḥāğğ-al ḏāt Qalʿat
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

الكتابة التذكارية

يعلو مدخل القلعة نص تذكارى يُؤرخ إنشاء القلعة فى شهر صفر من سنة ٩٧١ هـ/ ١٥٦٣ م[٤٥]، وقد نشر هذا النص الزميل الدكتور على غبان[٤٦]، وأورد بصمة للنص وقرأ محتوى النص وكنت قد قمت بعمل بصمة للنص[٤٧]، وقرأت محتواه وعند مقارنة القراءتين وجدت اختلافاً جديراً بالذكر والتسجيل. فقد قرأ الزميل الدكتور على غبان النص كالتالى:

١. بسم الله الرحمن الرحيم.
٢. هذا عمل المعلم عبدالله بن.
٣. الفقير المعمار بشى الشام فى سنت.
٤. أحد وسبعين وتسعمائه فى شهر صفر.
٥. المبارك وكان عمارتها فى أربعين يوم.

أما قراءتى للنص فهى كالتالى:

١. بسم الله الرحمن الرحيم.
٢. هذا عمل المعلم محمد الأَبَرْ.
٣. الفقير المعمار بحى الشام فى سنة.
٤. أحد وسبعين وتسعمايه فى شهر صفر.
٥. المبارك وكان عمارتها فى أربعين يوم.

وأهم ما فى النص هو تاريخ الإنشاء وهو شهر صفر من عام ٩٧١ هـ، وهذا ليس عليه خلاف فى القراءتين.

أما الاختلاف فينحصر فى اسم المعلم الذى قام بإنشاء القلعة ففى القراءة الأولى (عبدالله بن الفقير) وفى الثانية (محمد الأَبَرْ الفقير).

الاختلاف الثانى لقب المعمار، ففى القراءة الأولى (المعمار بشى الشام)، وفى القراءة الثانية: (المعمارى بحى الشام) ولا يوجد فى العربية ولا التركية لقب (معمار بشى)، ففى العثمانية النسبة إلى الصنعة يكون بإضافة (جى) فتصبح (معمار جى) والنص مكتوب بالعربية.

الاختلاف الثالث: كلمة (سنت) فى القراءة الأولى بالتاء المفتوحة، وفى القراءة الثانية (سنة) بتاء مربوطة.

الاختلاف الرابع: الهمزة فى كلمة (تسعمائة) فى القراءة الأولى، وفى القراءة الثانية (تسعمايه) بالياء، وهو المستعمل فى رسم الكتابة للسنوات فى الفترة العثمانية كما يعرف المختصون.

والنص مكتوب على حجر رملى مساحته ٢٥ × ١٧ سم[٤٨] بخط نسخى بارز لا يرقى من الناحية الفنية الجمالية إلى مستوى خط النسخ فى هذه الفترة.

٤٥. شكل رقم (١٩) لوحة رقم (٢، ٣).
٤٦. على غبان، الآثار الإسلامية، ص ١٤٩، شكل رقم (٥٦).
٤٧. شكل رقم (١٩)، لوحة رقم (٣).
٤٨. لم يورد على غبان مساحة النص، ولعله اكتفى بإيراد بصمة للنص.

© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

ومضمون النص يذكر التاريخ الفعلى لإنشاء القلعة وهو شهر صفر سنة ٩٧١ هـ/ ١٥٦٣ م وأن المدة الزمنية للبناء أربعين يوم وهذا يعنى أنه بدئ فى الإنشاء فى شهر محرم والانتهاء فى شهر صفر. أما الأمر السلطانى فقد صدر فى شهر ذى القعدة سنة ٩٦٧ هـ/ ١٥٥٩ م، فيكون الفرق بين صدور الأمر والبناء الفعلى حوالى ثلاث سنوات والسبب فى هذا التأخير فى بناء قلعة ذات الحاج أن الأمر السلطانى اشتمل على بناء ثلاث قلاع فى كل من ذات الحاج وتبوك والأخضر[٤٩]، فضلاً عن بناء قلعة ضخمة فى طريق الحاج المصرى في سنة ٩٦٨ هـ/ ١٥٦٠ م، وهى قلعة المويلح[٥٠].

أما النص الثانى الخاص بقلعة ذات الحاج[٥١]، فكتب حفراً على حجر من الرخام الأبيض مساحته ٣٢ × ٤٥ سم محفوظ حالياً بإمارة ذات الحاج. وقد قام الزميل الدكتور على غبان بنشر هذا النص[٥٢]، وأورد بصمة للنص[٥٣]، وقرأت محتواه وعند مقارنة القراءتين وجدت اختلافاً جديراً بالذكر والتسجيل، فقد قرأ الزميل على غبان النص كالتالى:

١. تجدد عمارة هذا.
٢. القلعة وعزال بركتها.
٣. فى عصر مولانا السلطان.
٤. عبد المجيد نصره الرب.
٥. المعين وأيام سعادة أفندي.
٦. الحاج عثمان باشا وسعادة.
٧. سرلو بين دركاه عالى.
٨. السيد أحمد أغا اليوسف.
٩. كيلار أمينى المفخم فى محرم سنة ١٢٦٦.

أما قراءتى للنص فهى كالتالى:

١. تجدد عمارة هذا.
٢. القلعة وعزال بركتها.
٣. فى عصر مولانا السلطان.
٤. عبدالمجيد نصره الرب.
٥. المعين وأيام سعادة أفندينا.
٦. الحاج عثمان باشا وسعادة.
٧. سردار أمين دركاه عالي.
٨. السيد أحمد أغا اليوسف.
٩. كيلار أمينى المفخم فى محرم سنة ١٢٦٦.

٤٩. القرمانى، أخبار الدول، ص ٤٤٠.
٥٠. هشام عجيمى، قلعة المويلح، اللوحة التأسيسية.
٥١. شكل رقم (٢٠)، لوحة رقم (١٢).
٥٢. على غبان، الآثار الإسلامية، ص ١٤٦–١٥١.
٥٣. شكل رقم (٢٠)، لوحة رقم (١٢).

© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

وأهم ما فى النص هو تاريخ التجديد الذى تم فى شهر محرم من سنة ١٢٦٦هـ، وأنه تم فى عهد السلطان العثمانى عبدالمجيد، وهذا لا خلاف عليه فى القراءتين، أما أهم الاختلافات فى القراءتين فهى على النحو التالي:

١. كلمة (بركتما) فى القراءة الأولى، والصحيح (بركتها) فى القراءة الثانية.

٢. كلمة (أفندى) فى القراءة الأولى، والصحيح (أفندينا) فى القراءة الثانية.

٣. كلمة (سرلوا بين دركاه عالى) فى القراءة الأولى، والصحيح (سردار أمين دركاه عالى)، لأنه لا توجد وظيفة فى الفترة العثمانية اسمها (سرلوا بين دركاه عالى)، وإنما الموجود فى كتب دساتير الوظائف والألقاب فى الفترة العثمانية وظيفة (سردار أمينى)، و (كيلار أمينى)، والسردار من الرتب العسكرية وتُعرف أيضاً باسم (سر عسكر)، وهى رتبة توازى مرتبة وزيراً[٥٤]. أما وظيفة (كيلار) فهى من الوظائف التى يتولاها من يقوم بتأمين الأطعمة والأشربة بصفة عامة سواء للجيش أو للقصور السلطانية[٥٥]، وعليه فإن وظيفة السيد احمد أغا اليوسف الذى ورد اسمه فى النص كان على مرتبة وزير وأميناً على طريق الحاج الشامى، والمسؤول عن تأمين الأطعمة والأشربة (سردار أمين دركاه عالى)، و(كيلار أمينى).

ثبت المصادر والمراجع

إبراهيم الخيارى المدنى، تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، بغداد، ١٩٨٠ م.

ابن بطوطة (محمد عبدالقادر اللواتى الطنجى المعروف بابن بطوطة)، تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت، ١٣٨٤ هـ.

أحمد دراج، المماليك والفرنج فى القرن التاسع الهجرى، دار الفكر، القاهرة، ١٩٦١ م.

البغدادى (صفى الدين)، مراصد الاطلاع، تحقيق محمد البيجاوى، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، القاهرة، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م.

الجزيرى (عبدالقادر بن محمد)، درر الفوائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، نشر محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٤ هـ.

حمد الجاسر، المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة، دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٧ هـ.

سامى صالح عبدالمالك، درب الحاج المصرى همزة وصل غرب العالم الإسلامى بالحرمين الشريفين «دراسة تاريخية – آثارية»، الندوة الكبرى لمكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦ هـ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.

—، قلعة نخل على درب الحَاجّ المِصْرى فى سيناء «دراسة آثارية معمارية جديدة فى ضوء الحفائر الآثارية»، المشكاة الحولية المصرية للآثار الإسلامية، مج ١، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، ٢٠٠٦ م.

سيد عبدالمجيد بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ط ١، الكتاب الجامعى رقم (٦)، مؤسسة تهامة، جدة، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.

على حامد غبان، الآثار الإسلامية فى شمال غرب المملكة، مدخل عام، ط ١، دار سفير، الرياض، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م.

الغزى (نجم الدين)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق د. جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩ م.

٥٤. Pakalin, *Osmanli tarih deyimleri*, p. 178-180.

٥٥. Pakalin, *Ayni eser*, p. 281.

© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

القرمانى (أبى العباس أحمد بن يوسف الدمشقى الشهير بالقرمانى)، كتاب أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ، عالم الكتب، بيروت، د. ت.

كبريت (محمد بن عبدالله الحسينى الموسوى الشهير بكبريت)، رحلة الشتاء والصيف، القاهرة، المطبعة الوهبية، ١٢٩٣ هـ.

محمد كرد على، خطط الشام، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩ م.

محمد لبيب البتنونى، الرحلة الحجازية، ط ٢، مطبعة الجمالية، مصر، ١٣٢٩ هـ.

المقريزى (تقى الدين على)، المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار، مطبعة بولاق، القاهرة، د. ت.

النابلسى (عبدالغنى)، الحقيقة والمجاز فى رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، مخطوط رقم (٤١)، مكتبة الحرم المكى الشريف.

هشام محمد على عُجيمى، قلعة المويلح دراسة معمارية حضارية، رسالة ماچستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.

—، قلاع الأزنم والوجه وضبا فى المنطقة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية، دراسة معمارية حضارية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.

—، قلعة تبوك، مجلة جامعة أم القرى، العدد الثانى، مكة المكرمة، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م.

—، القلاع ومناهل المياه فى طريق الحاج الشامى من خلال وثيقة عثمانية، مجلة الروزنامة، العدد الرابع، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ م.

نوفان رجا الحمود، العسكر فى بلاد الشام فى القرنين ١٦، ١٧ م، ط ١، دار الآفاق الجديدة، بيروت،١٤٠١ هـ.

Danismend, I. H., *Izahli Osmanli tarihi Kronolojisi*, Turkiye yayinevi, Istanbul, 1971.

Pakalin, M. Z., *Osmanli tarih deyimleri ve terimleri sozlugu. Ikinci basilis devlet kitaflari*, Milli egtim basimevi, Istanbul, 1971.

© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

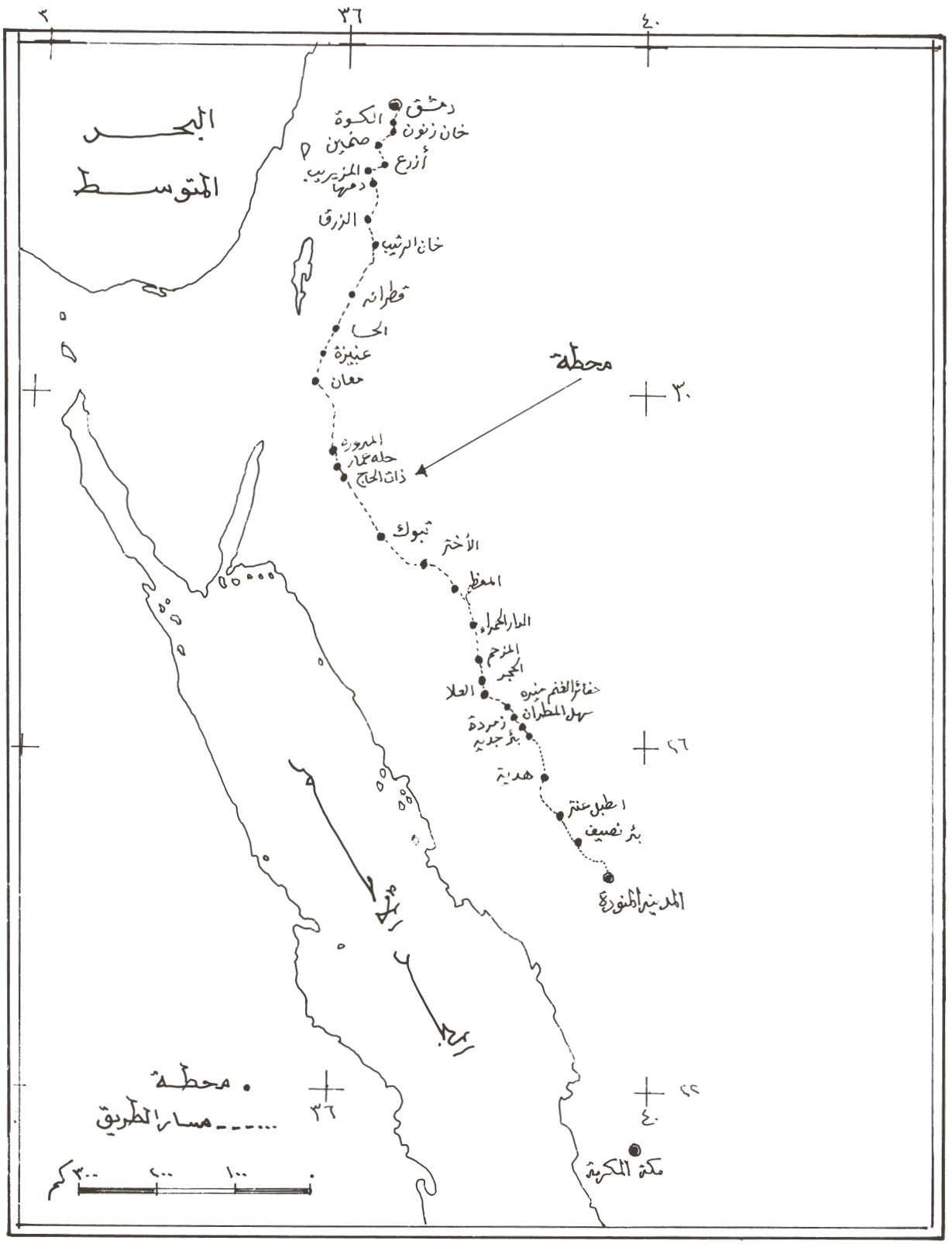

شكل ١. درب الحاج الشامى فى العصر العثمانى.

AnIsl 41 (2007), p. 45-65 Hišām bin Muḥammad ʿAlī Ḥasan ʿUğaymī
قلعة ذات الحاج فى طريق الحَاجّ الشامى: دراسة معمارية وثائقية. ʿIqiyya‘waṭā mi‘māriyya Dirāsa .šāmī-al ḥāğğ-al ṭarīq fī ḥāğğ-al ḏāt Qal‘at
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

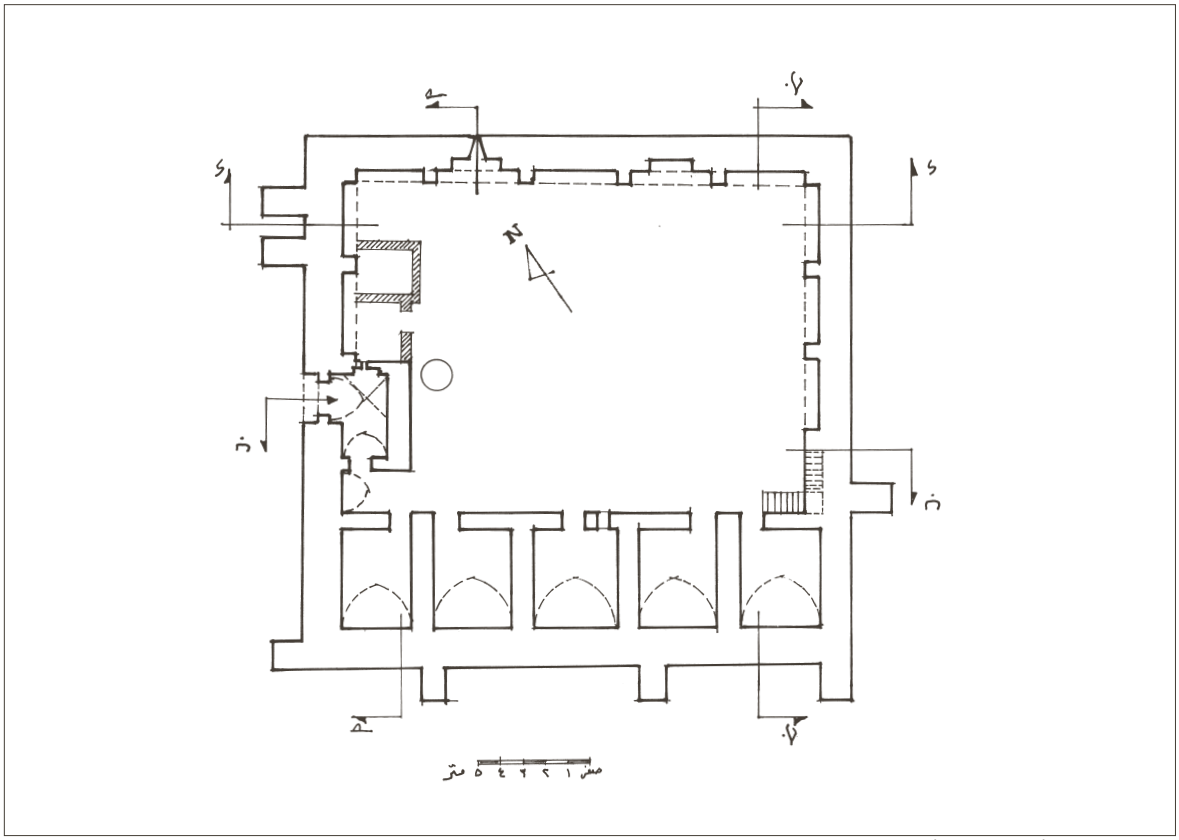

شكل ٢. مسقط أفقى للطابق الأرضى من قلعة ذات الحاج.

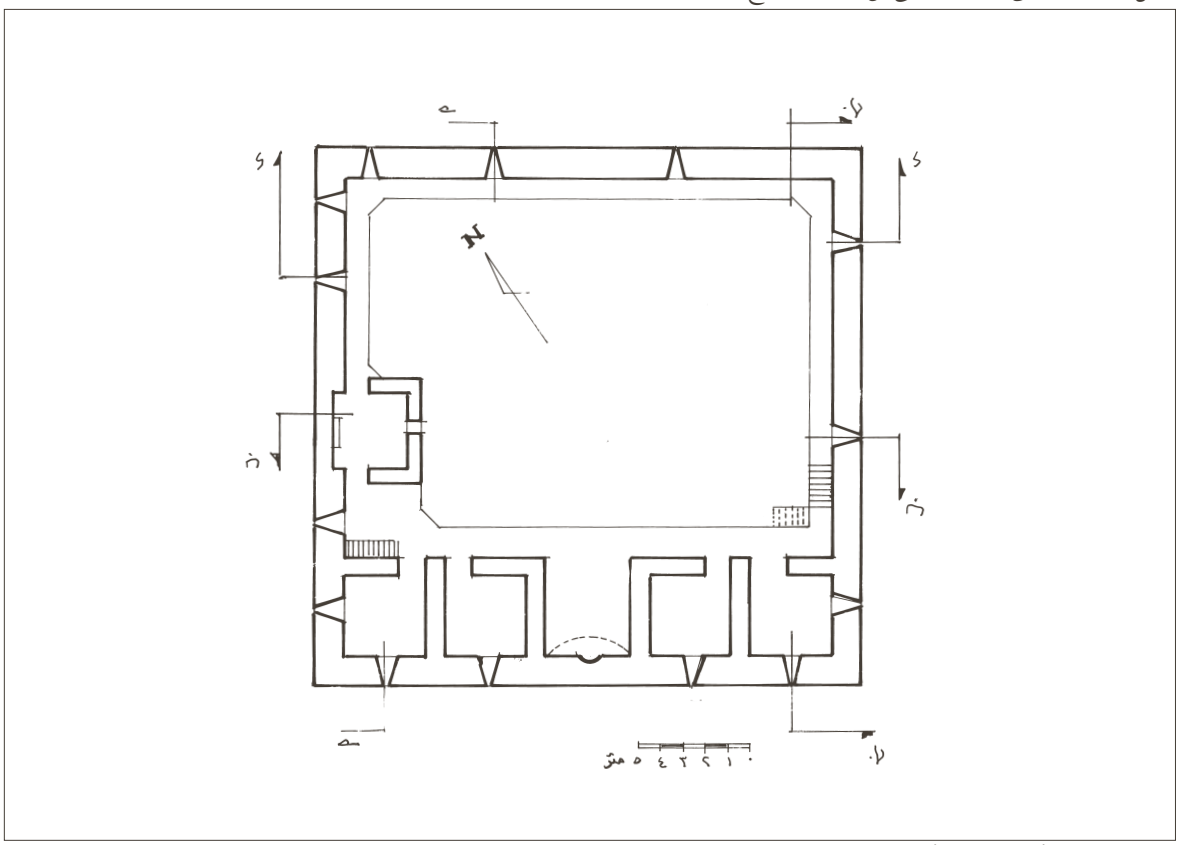

شكل ٣. مسقط أفقى للطابق الأول من قلعة ذات الحاج.

AnIsl 41 (2007), p. 45-65 Hišām bin Muḥammad ʿAlī Ḥasan ʿUğaymī
قلعة ذات الحاج فى طريق الحَاجّ الشامى: دراسة معمارية وثائقية. īqiyyaʿwaṭā miʿmāriyya Dirāsa .šāmī-al ḥāğğ-al ṭarīq fī ḥāğğ-al ḏāt Qalʿat
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

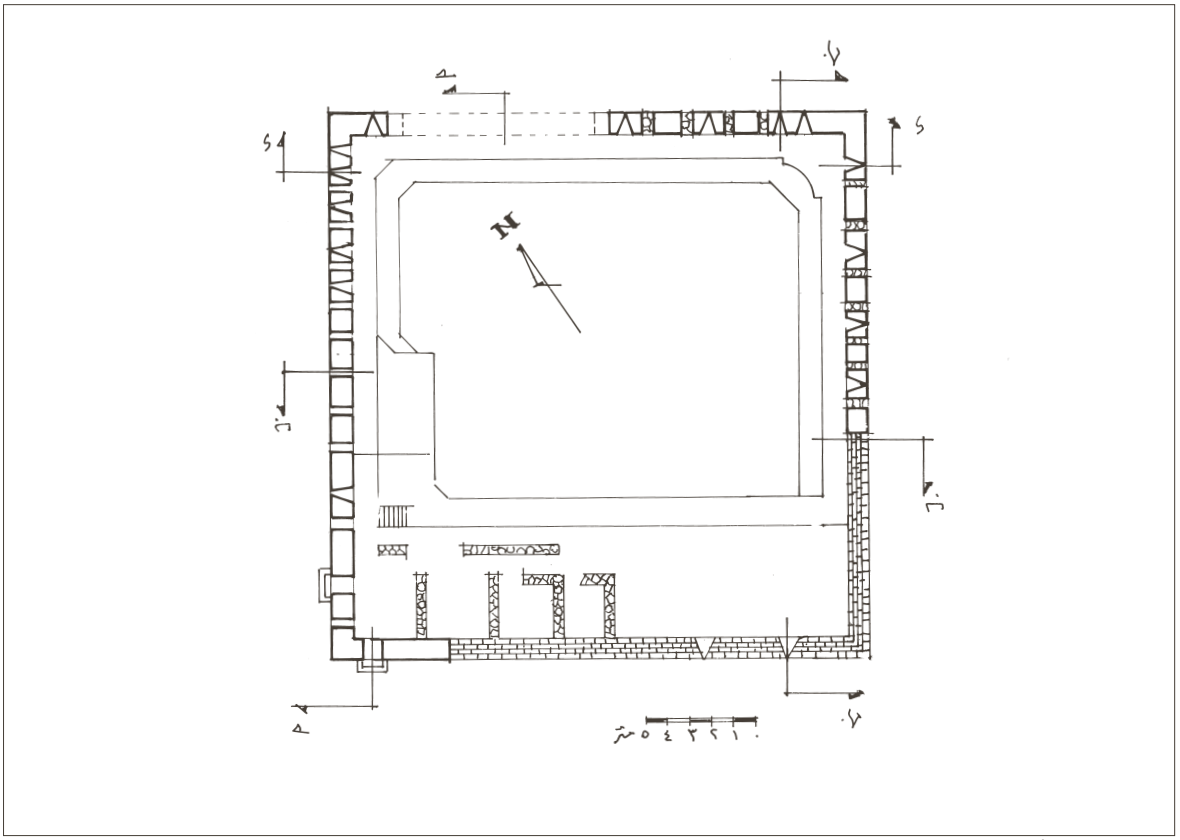

شكل ٤. مسقط أفقى للطابق الثانى من قلعة ذات الحاج.

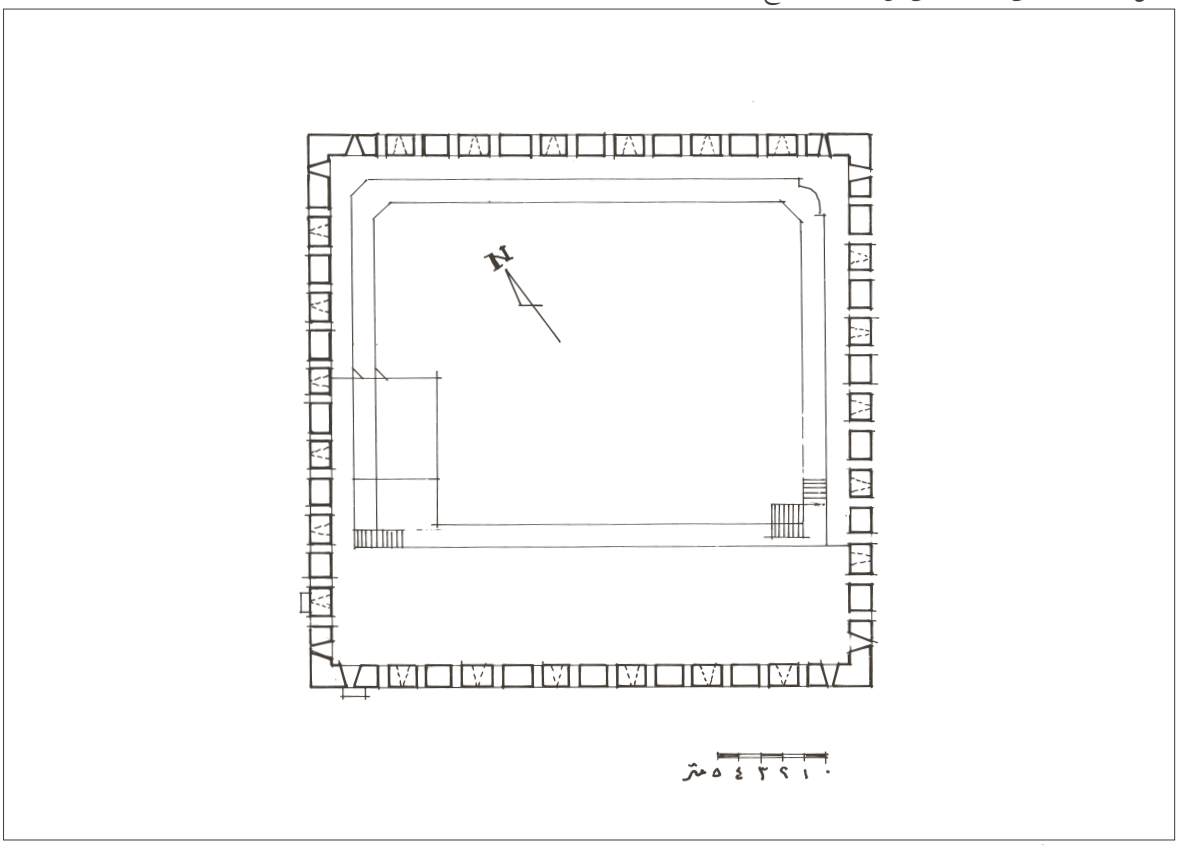

شكل ٥. مسقط أفقى للطابق الثانى من قلعة ذات الحاج عند الإنشاء.

© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

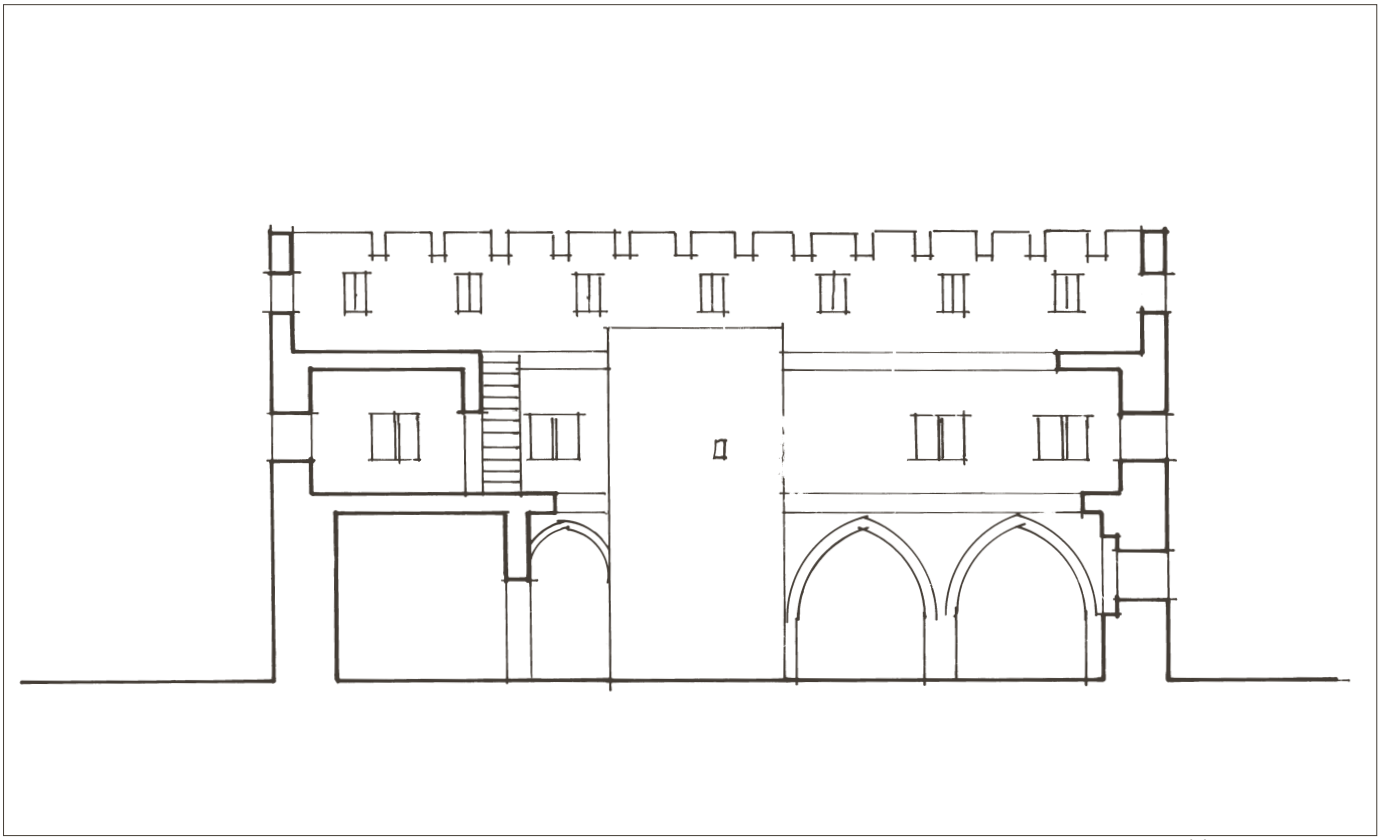

شكل ٦. قطاع طولى «أ-أ» للجزء الشمالى الغربى من الداخل عند الإنشاء.

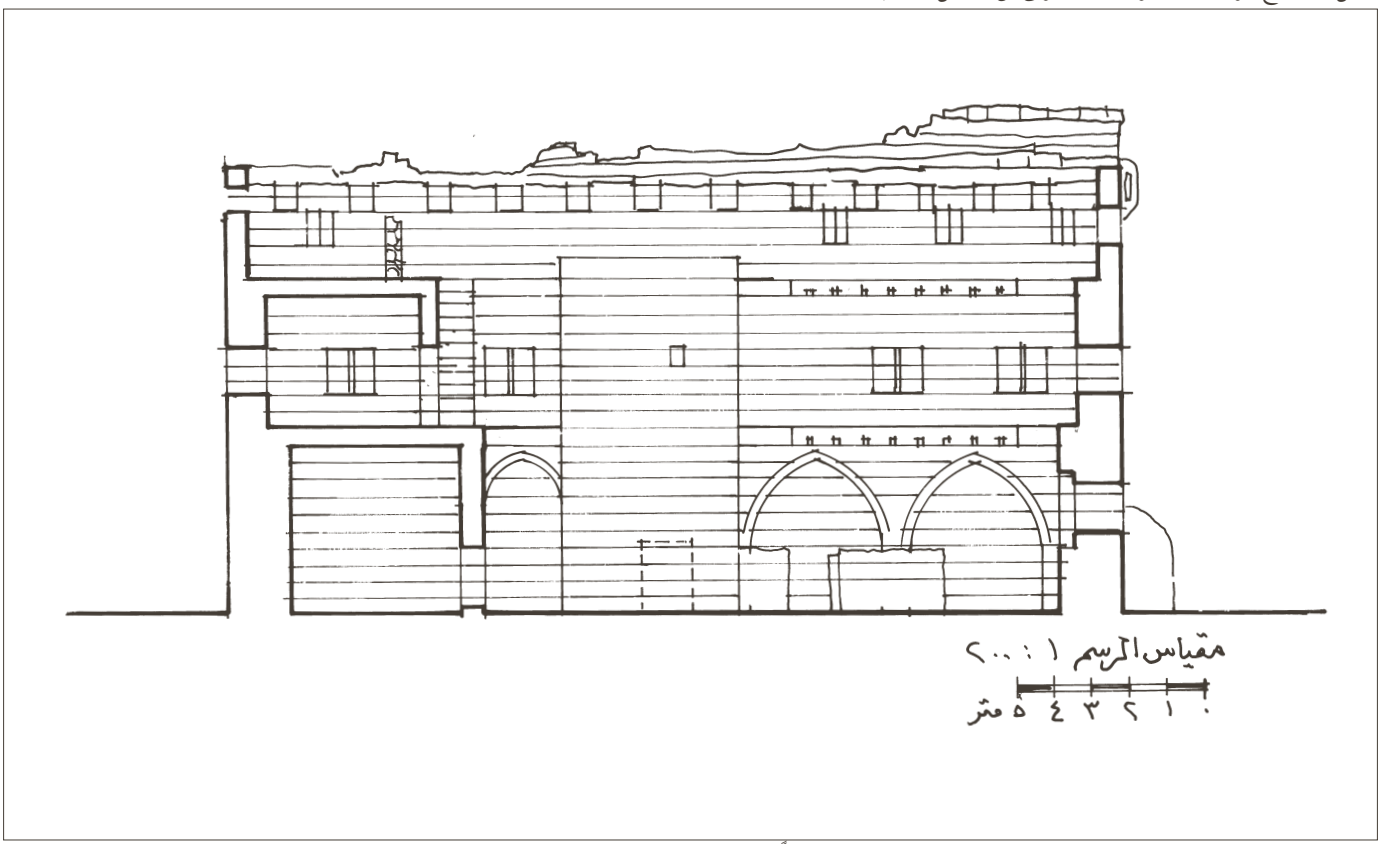

شكل ٧. قطاع طولى «أ-أ» للجزء الشمالى الغربى للمبانى القائمة من الداخل حالياً.

© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

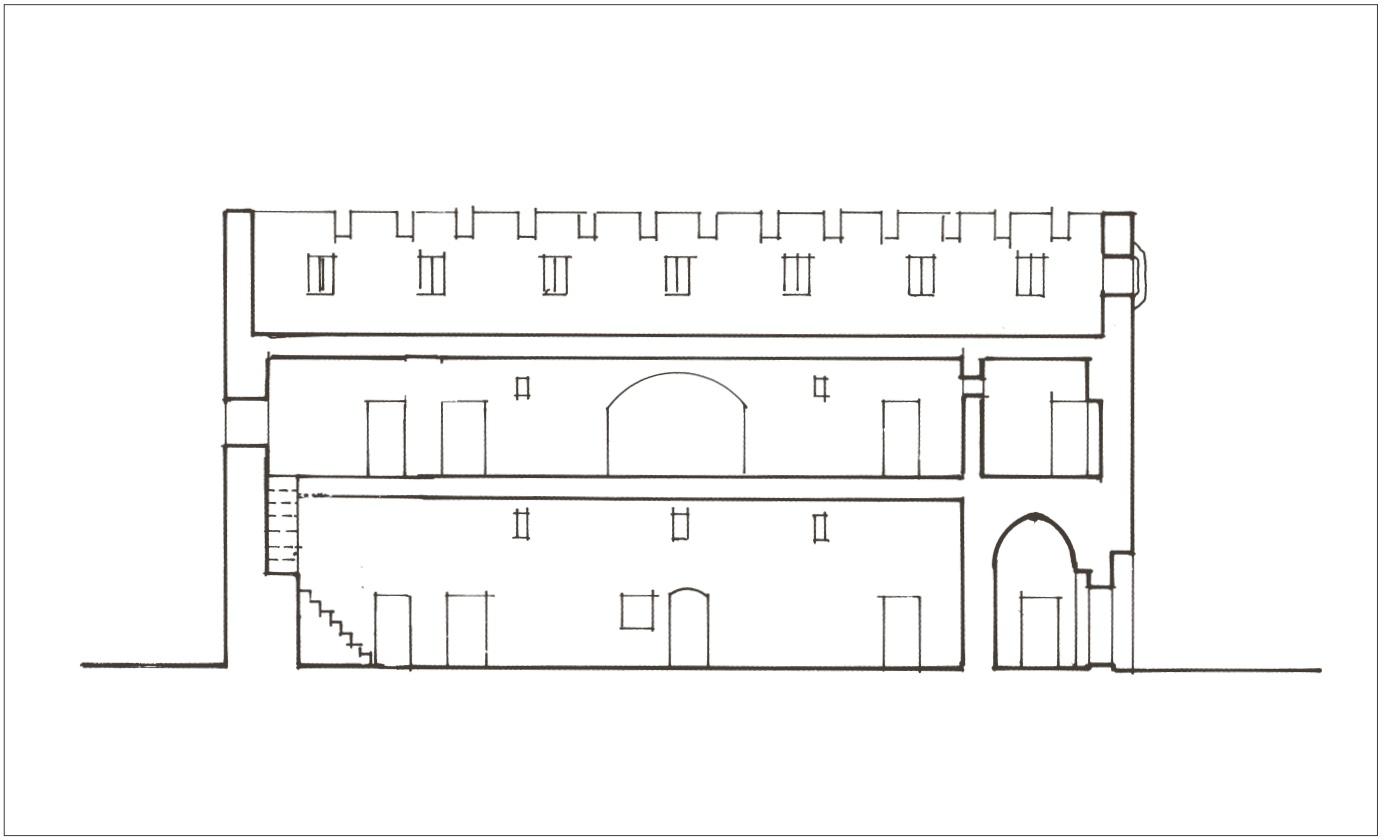

شكل ٨. قطاع طولى «ب–ب» للجزء الجنوبى الشرقى من الداخل عند الإنشاء.

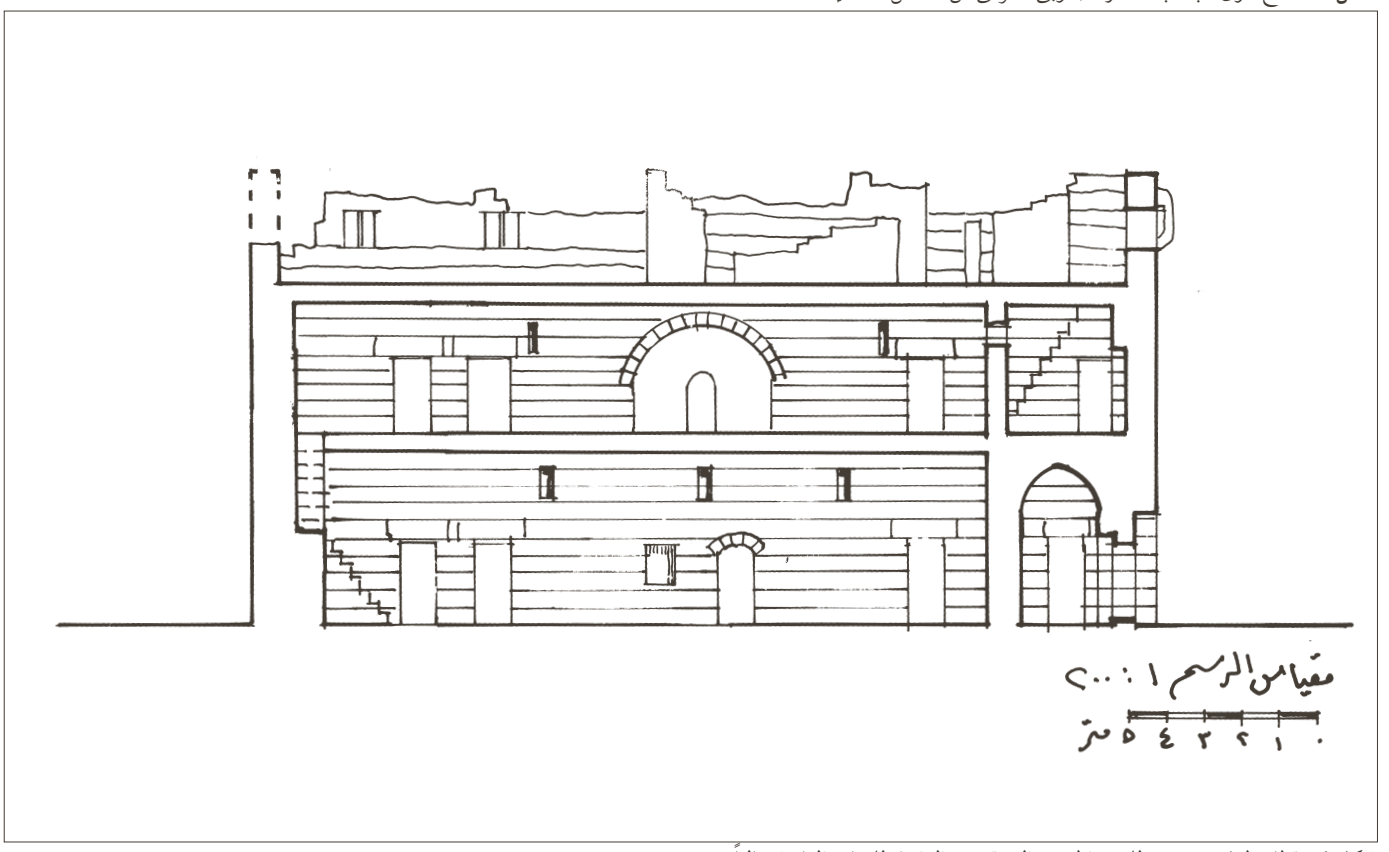

شكل ٩. قطاع طولى «ب–ب» للجزء الجنوبى الشرقى من الداخل للمبانى القائمة حالياً.

AnIsl 41 (2007), p. 45-65 Hišām bin Muḥammad ʿAlī Ḥasan ʿUǧaymī
قلعة ذات الحاج فى طريق الحَاجّ الشامى: دراسة معمارية وثائقية. īqiyyaʿwaṭā miʿmāriyya Dirāsa .šāmī-al ḥāǧǧ-al ṭarīq fī ḥāǧǧ-al ḏāt Qalʿat
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

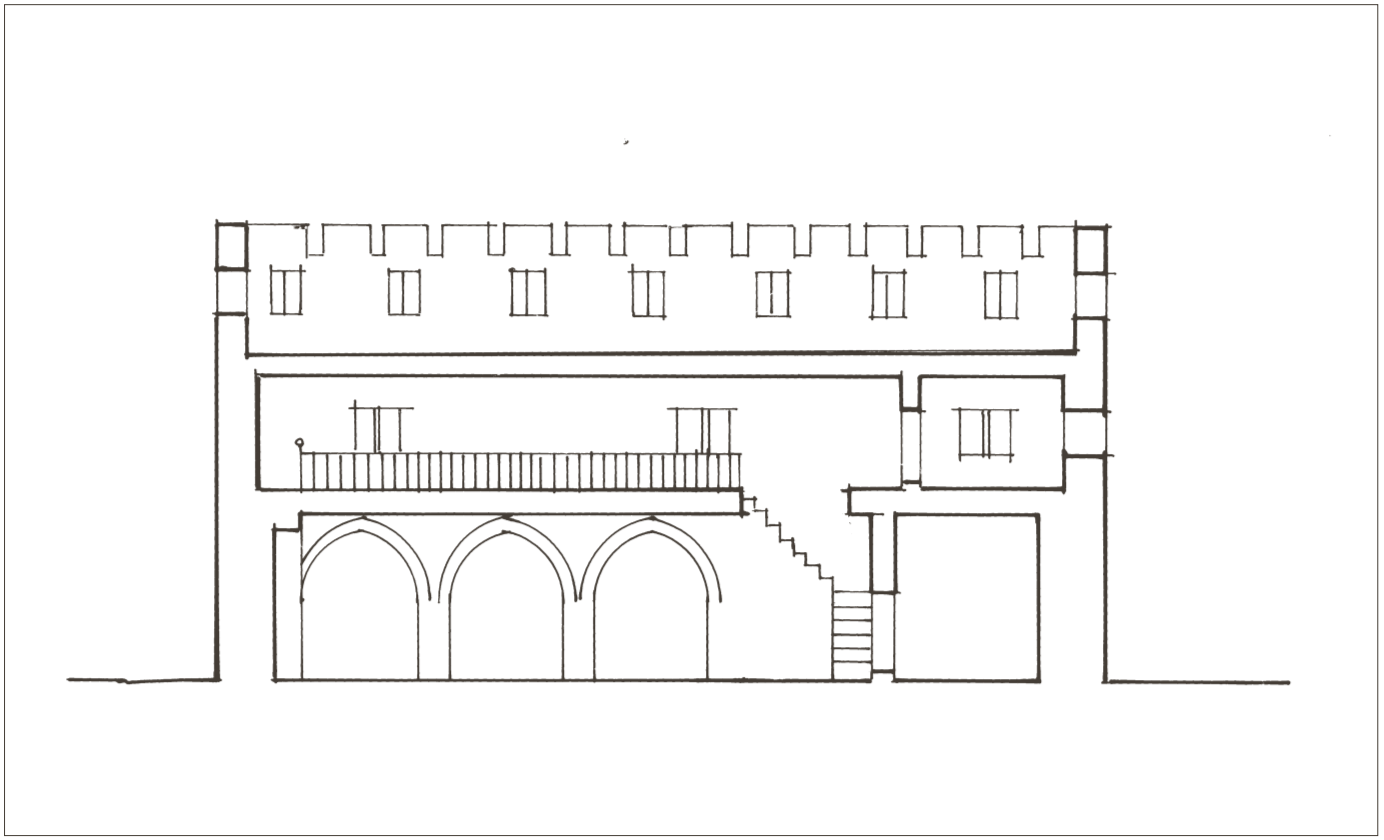

شكل ١٠. قطاع طولى «ج-ج» للجزء الجنوبى الشرقى من الداخل للمبانى عند الإنشاء.

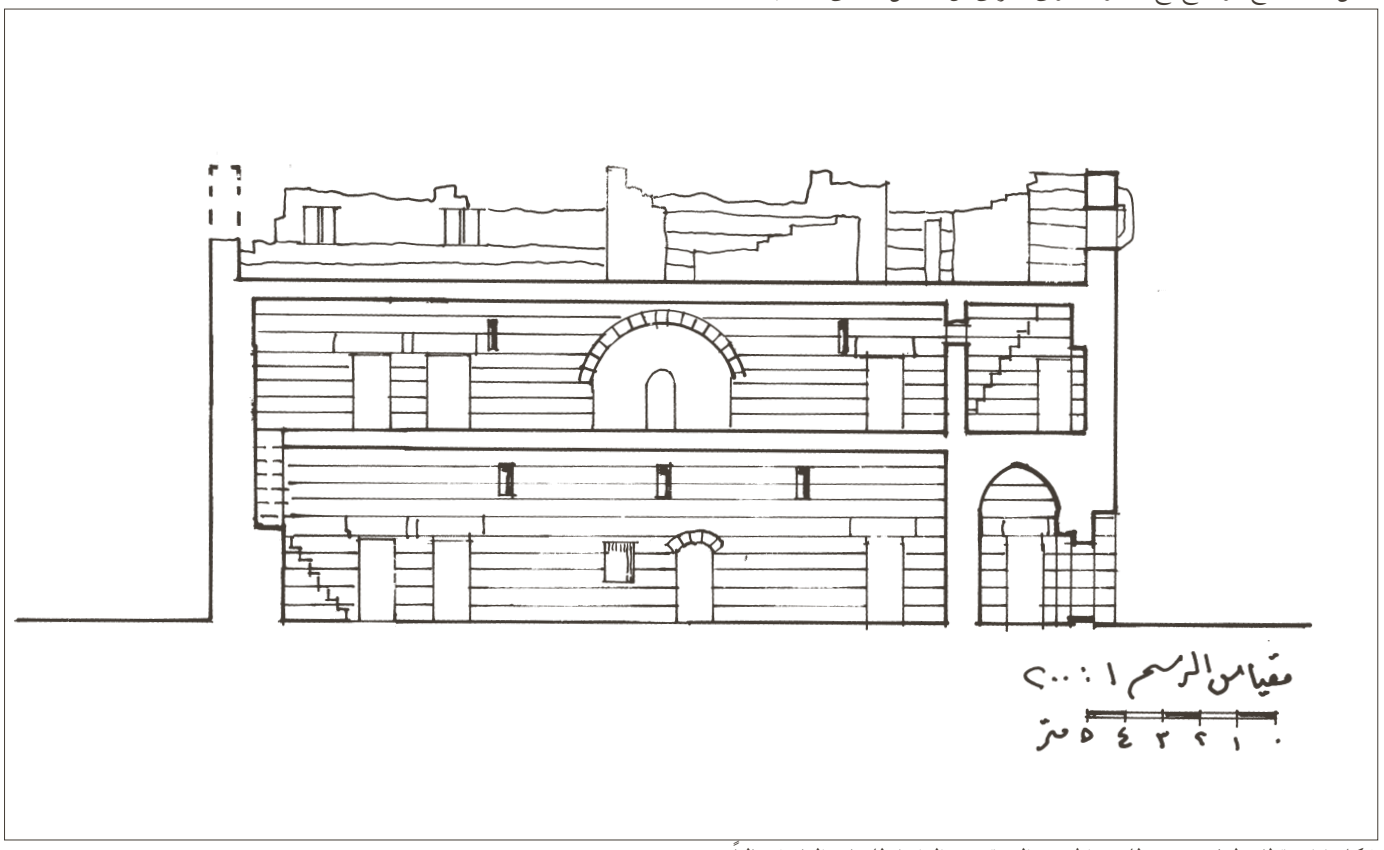

شكل ١١. قطاع طولى «ج-ج» للجزء الجنوبى الشرقى من الداخل للمبانى القائمة حالياً.

AnIsl 41 (2007), p. 45-65 Hišām bin Muḥammad ʿAlī Ḥasan ʿUğaymī
قلعة ذات الحاج فى طريق الحَاجّ الشامى: دراسة معمارية وثائقية. ʿāmī-al ḥāğğ-al ṭarīq fī ḥāğğ-al ḍāt Qalʿat ī
qiyyaʿwaṭā miʿmāriyya Dirāsa
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

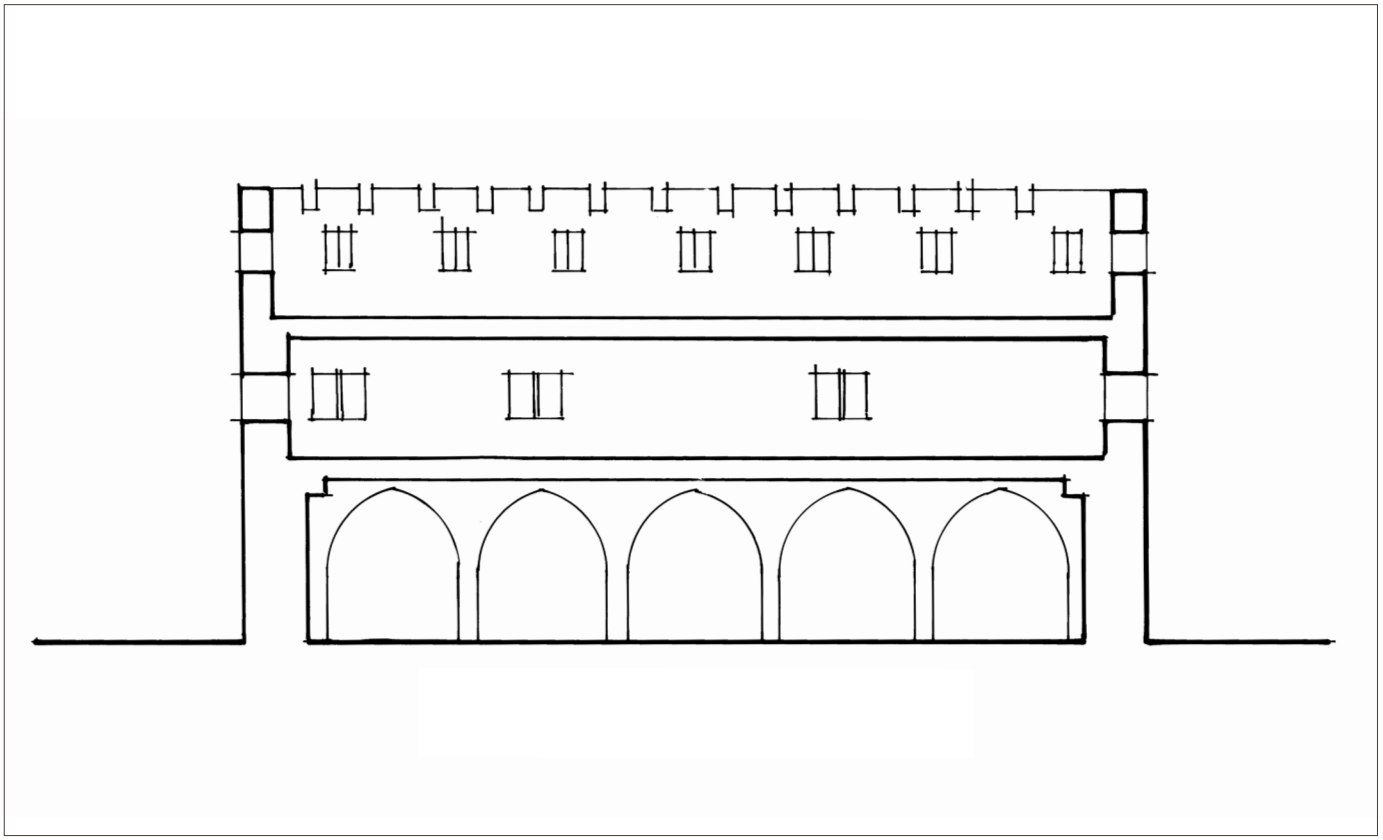

شكل ١٢. قطاع طولى «د–د» للجزء الشمالى الغربى من الداخل للمبانى عند الإنشاء.

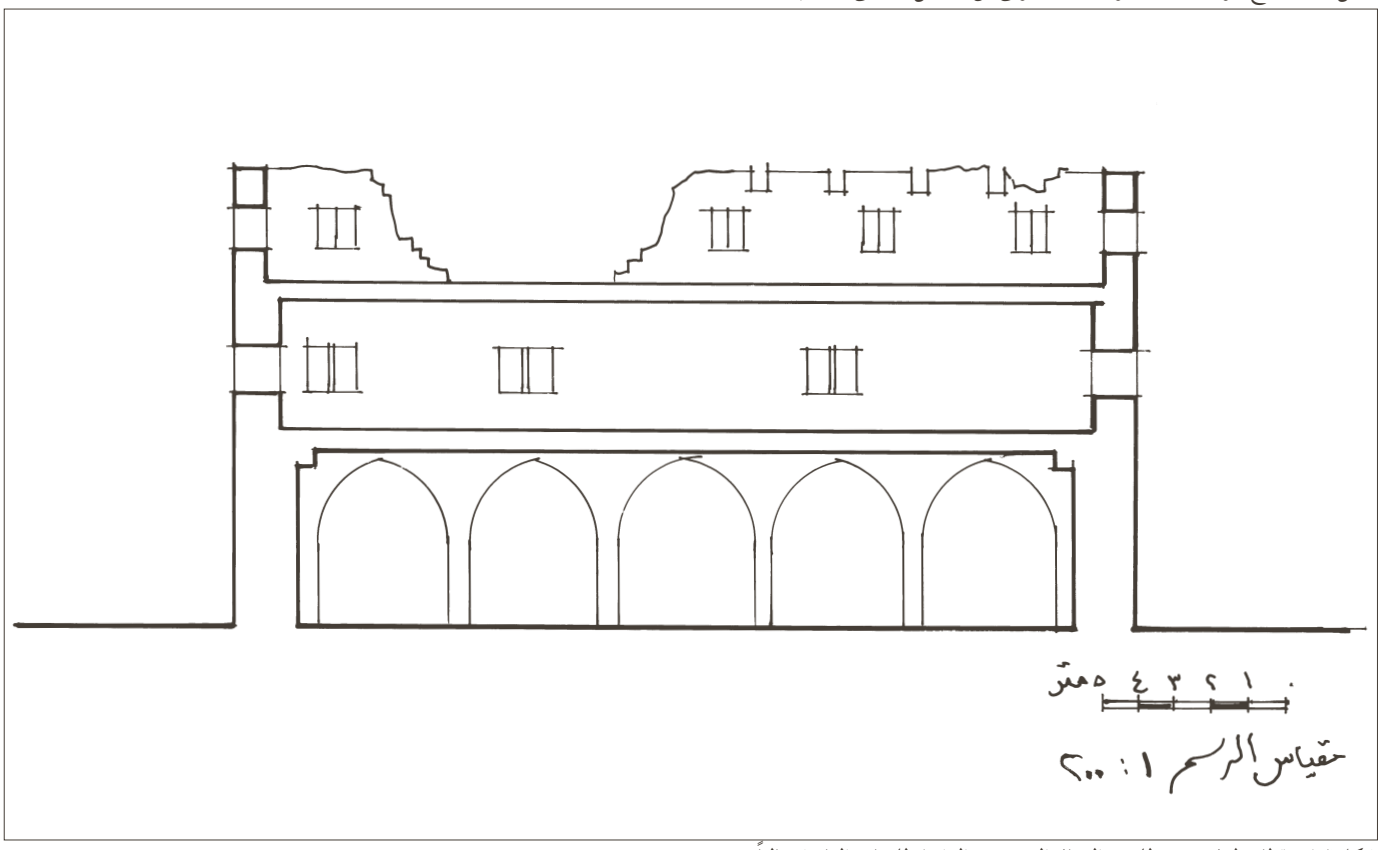

شكل ١٣. قطاع طولى «د–د» للجزء الشمالى الغربى من الداخل للمبانى القائمة حالياً.

© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

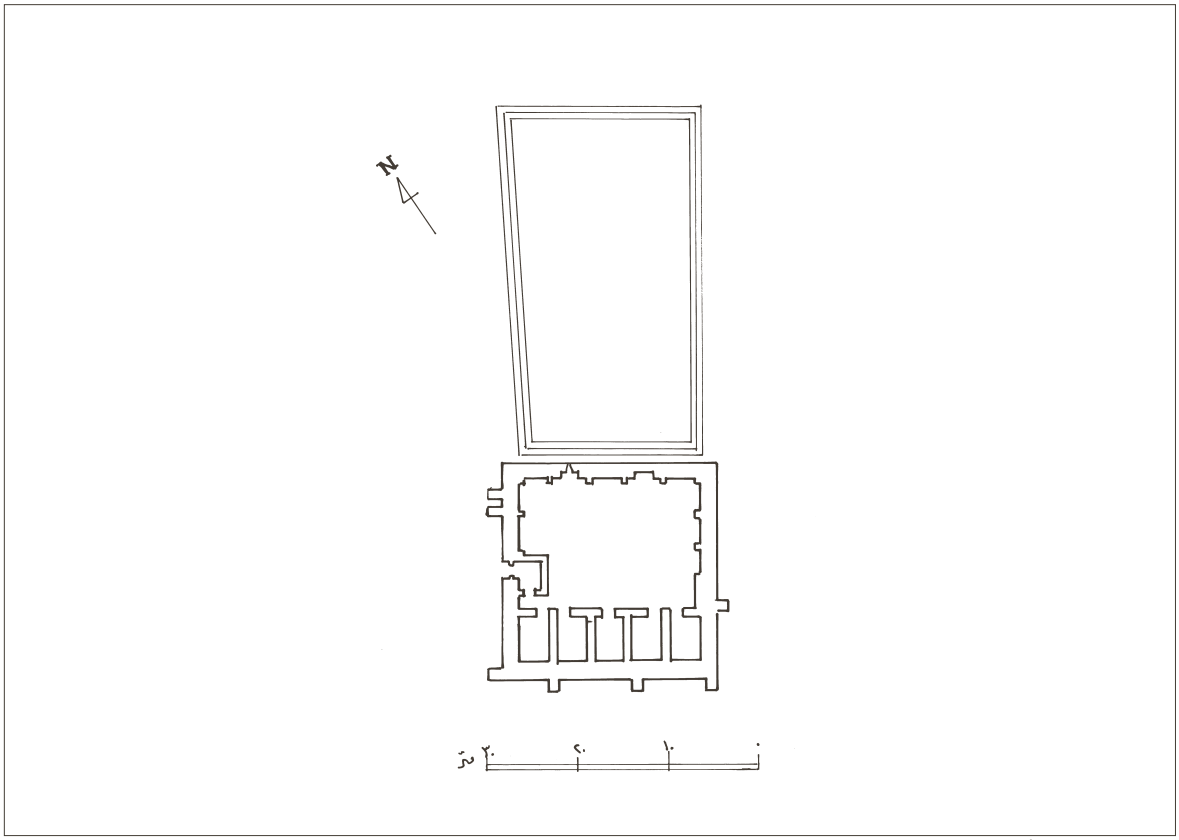

شكل ١٤. مسقط أفقى لبركة قلعة ذات الحاج.

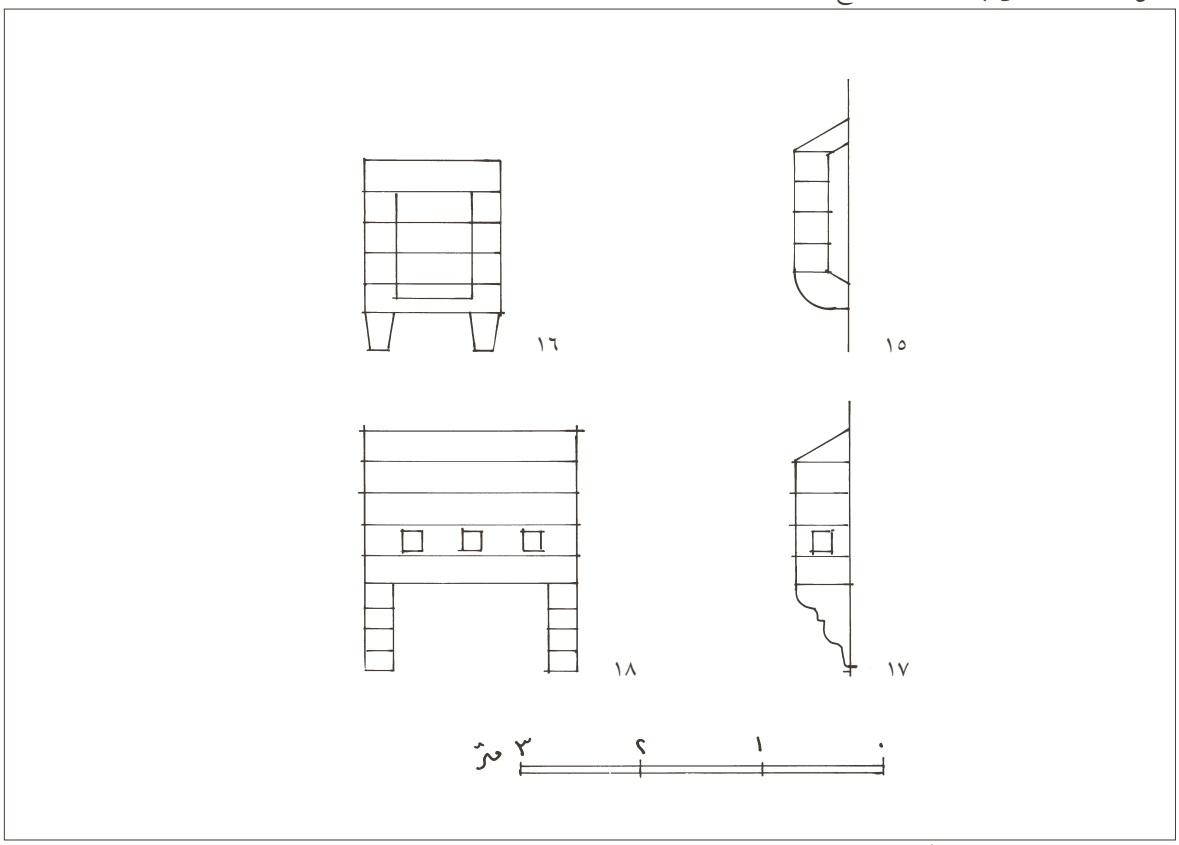

شكل ١٥–١٨. مناظير جانبية وأمامية لسقاطات قلعة ذات الحاج.

AnIsl 41 (2007), p. 45-65 Hišām bin Muḥammad ʿAlī Ḥasan ʿUğaymī
قلعة ذات الحاج فى طريق الحَاجّ الشامى: دراسة معمارية وثائقية. ʿiqiyya'waṭā miʿmāriyya Dirāsa .šāmī-al ḥāğğ-al ṭarīq fī ḥāğğ-al ḏāt Qalʿat
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

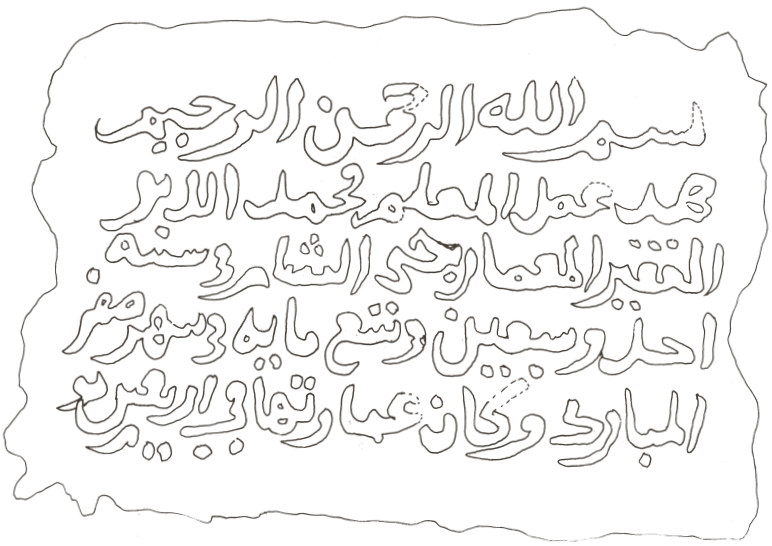

شكل ١٩. تفريغ للنقش التأسيسى لقلعة ذات الحاج.

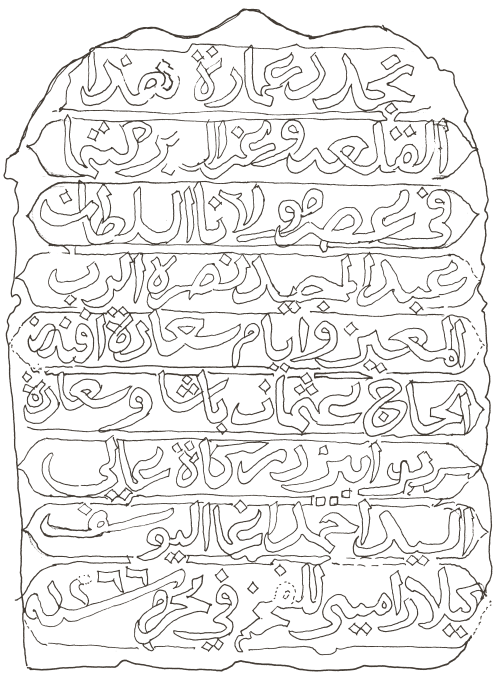

شكل ٢٠. تفريغ لنقش تجديد قلعة ذات الحاج سنة ١٢٦٦هـ.

© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

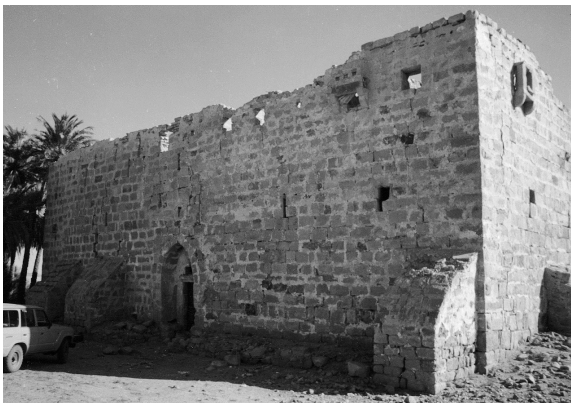

لوحة ١. واجهة مدخل قلعة ذات الحاج.

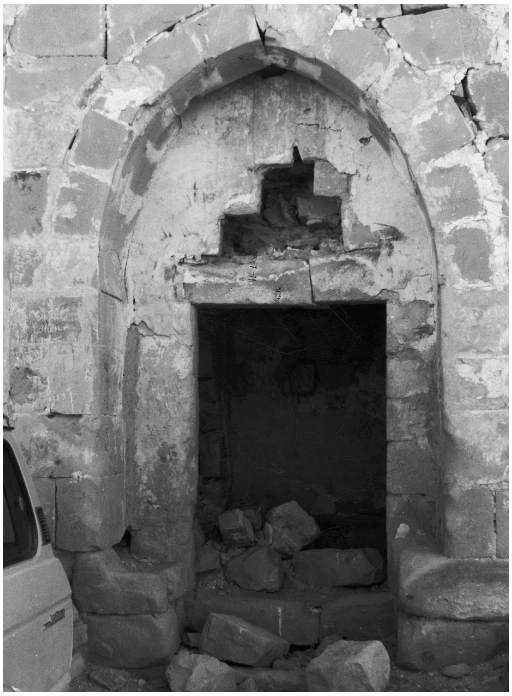

لوحة ٢. مدخل قلعة ذات الحاج.

لوحة ٣. النص التأسيسى للقلعة.

لوحة ٤. الواجهة الجنوبية الغربية للقلعة.

لوحة ٥. الممر المفضى إلى فناء القلعة وتظهر حجرات الطابق الأرضى.

© IFAO 2025

لوحة ٦. ممر الطابق العلوى ومداخل الغرف والمسجد.

لوحة ٧. الضلعين الجنوبى الشرقى والجنوبى الغربى وفناء القلعة.

لوحة ٨. الضلع الجنوبى الشرقى وممرات الأسوار.

لوحة ٩. الضلعين الشمالي الغربي والجنوبي الغربي والطوابق الثلاث للقلعة.

لوحة ١٠. الضلعين الجنوبي الشرقي والشمالي الشرقي وتظهر ممرات الأسوار.

لوحة ١١. مسجد القلعة ومحرابه المجوف.

AnIsl 41 (2007), p. 45-65 Hišām bin Muḥammad ʿAlī Ḥasan ʿUğaymī
قلعة ذات الحاج فى طريق الحَاجّ الشامى: دراسة معمارية وثائقية. Qalʿat ḏāt al-ḥāǧǧ al-šāmī-al ṭarīq fī ḥāǧǧ-al īqiyyaʿwaṭā miʿmāriyya Dirāsa
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

لوحة ١٢. نص تجديد قلعة ذات الحاج سنة ١٢٦٦ هـ.

لوحة ١٣. بركة مياه قلعة ذات الحاج خارج القلعة مطمورة بالأتربة.

© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net